بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ:28/12/2007 **الشيخ الطبيب محمد خير الشعال**

((سلسلة قوانين القرآن))

((لماذا هذه السلسلة!!؟))

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله خير نبي اجتباه وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صل على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فيا عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى فإن عملة الآخرة هي السيئات والحسنات وليس ثمة درهم ولا دينار، وهناك لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

فقدموا لأنفسكم، نحن اليوم في دار عمل ولا حساب ، وغدا كلنا ذاهبون إلى دار حساب لا عمل فيها، وإنه من يندم يندم هناك وإنه من يسعد يسعد هناك...

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8) ﴾ [الزلزلة]

ثم أستفتح بالذي هو خير، يقول الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (121) ﴾[البقرة]

وحق التلاوة هي: **أن تحل حلاله وتحرم حرامه وتتفكر في أمثاله وأقواله .**

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ...(121) ﴾[البقرة]

هو أن تحل حلاله وتحرم حرامه وتتفكر بأمثاله وأقواله.

قال تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(43)وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ(44) ﴾[الزخرف]

ذكر لك ولقومك يعني شرف لك ولقومك وسوف تسألون.

أيها الإخوة تناولنا على هذا المنبر بفضل الله تعالى سلسلة خطب موضوعها كيف تصبح ولياً!!؟ ثم انتقلنا إلى سلسلة ثانية عنوانها الأسرة والتربية..ثم أنهينا سلسة ثالثة قضايا الشباب...

واليوم نبدأ مستعينين بالله تعالى سلسلة جديدة عنوانها **"السنن الإلهية في القرآن"** أو **"قوانين القرآن".**

في القرآن قوانين في القرآن سنن إلهية لا تتخلف، وسنتناول على هذا المنبر في هذه السلسلة بعضاً من هذه القوانين والسنن وهذه هي الخطبة الأولى في هذه السلسلة.

وعنوان خطبة اليوم: لماذا هذه السلسسة!!؟

السنن: جمع سنة، والسنة في اللغة هي الطريقة، والمراد بالسنن الإلهية: الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناء على سلوكهم و أفعالهم و مواقفهم من شرع الله تعالى وأنبيائه.

أعيد مرة ثانية: المراد بالسنن الإلهية الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله تعالى وأنبيائه.

ففي القرآن الكريم قوانين ربانية وسنن إلهية يخضع البشر جميعاً لها في تصرفاتهم وأفعالهم وسلوكهم وما يترتب على ذلك من نتائج في الرفاهية أو الضيق، في السعادة أو الشقاء، في العز أو الذل، في الرقي أو التأخر، في الضعف أو القوة.

أرأيت إلى قانون تمدد المعادن في الحرارة وتقلصها بالبرودة!!؟

هذا قانون فيزيائي آمن به المهندس أو لم يؤمن، إنه إذا لم يدع مسافات في الجسور لهذا التمدد والتقلص -يسمونها فواصل تمدد- فإن البناء سيتصدع بلا ريب. فالقانون لا يحابي ولا يتغير ولا يتخلف.

أرأيت إلى قانون الجاذبية الأرضية!!؟

آمن به المرئ أم لم يؤمن، إنه إذا فكر أن يرمي نفسه من شاهق ظاناً أنه يستطيع التفلت من قانون الجاذبية فإنه سيقع أرضاً ويحطم رأسه.

فالقانون لا يحابي ولا يتغير ولا يتخلف...

وهكذا أيها الإخوة فإن في القرآن سنن إلهية وقوانين قرآنية، رتبت نتائج على مقدمات وأسباباً على مسببات وخواتيم على بدايات.

وهذه السلسلة من الخطب معنية بإبراز بعض من هذه السنن...

فمثلاً يقول الله تعالى في سورة طه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا . . ﴾[طه]

اذهب ما شئت نحو الشرق أو نحو الغرب...املك ما شئت....تقلل مما شئت...سافر حيث شئت....تزوج من شئت القانون سيمضي: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾[طه]

هذه النتيجة لن تتخلف عن تلك المقدمة.

مثلاً يقول الله تعالى في سورة الرعد: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ . . ﴾ [الرعد:11]

هذا قانون لن يتغير، ما حل بالمسلمين من ضعف ووهن ، من فرقة وفقر، من تخلف وتشرذم حتى يغيروا ما حل بأنفسهم مما خالف عقيدتهم من أفكار مستوردة وقيم وعادات وتقاليد لا علاقة لشرعنا بها، من أنانيات وشهوات من ثقافات واتجاهات لا ترضي ربنا.

هذه النتيجة لن تترتب إلا على هذه المقدمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ . . ﴾ [الرعد:11]

مثلاً يقول الله تعالى في سورة محمد: ﴿ .إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (7) ﴾ [محمد]

هذه النتيجة مترتبة عل هذه المقدمة وهكذا أيها الإخوة الكرام في القرآن سنن وقوانين العامل بها منصور والتارك لها مخذول...التابع لها ناجح، والهاجر لها مخفق..المعتصم بها يرقى، والمتخلي عنها يشقى....

قال أحد العلماء:**لا تصادموا سنن الله فإنها غلابة واستخدموها واستعينوا بها...**

وهكذا أيها الإخوة في القرآن الكريم سنن وقوانين ثابتة ومضطردة وعادلة وعامة...

ثابتة لا تتغير ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (43) ﴾[فاطر]

مضطردة لا تتخلف ﴿ . . .وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (8) ﴾ [الرعد]

عادلة لا تظلم ﴿ . . .وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (49) ﴾ [الكهف]

عامــة لا تحابي ﴿لَيْسَ بِأَمَـانِيِّكُمْ وَلَا أَمَـانِيِّ أَهْـلِ الْكِتَـابِ مَنْ يَعْمَـلْ سُـوءًا يُجْـزَ بِـهِ . . ﴾ [النساء:123]

أرسل عمر بن عبد العزيز إلى طاووس بن كيسان يستشيره ويستنصحه فأجابه برسالة كتب فيها:

سلام عليك أمير المؤمنين، إن الله تعالى أنزل كتاباً وأحل فيه حلالاً وحرم فيه حراماً وضرب فيه أمثالاً –والشاهد هنا ضرب فيه أمثالاً– **وجعل بعضه محكماً وبعضهم متشابهاً فأحل حلال الله وحرم حرام الله وتفكر بأمثال الله** –والشاهد هنا تفكر في أمثال الله– **واعمل بمحكمه وآمن بمتشابهه والسلام عليك.**

ذكروا أن أميراً من أمراء الأندلس أرسل إلى الشيخ المنذر بن سعيد البلوطي وهو عالم من علماء الأندلس رسولاً يطلب منه أن يخرج بالناس إلى صلاة الاستسقاء...الأمير أرسل رسولاً إلى الشيخ ليخرج بالناس إلى صلاة الاستسقاء...

فقال الشيخ للرسول: اذهب فانظر ما يصنع الأمير فإن رأيته منكفئاً على شرب الخمور وسماع الغانيات واللعب بالأحجار فلا داعي أن نستسقي أما إذا كان بخلاف ذلك فأخبرني...

فلما ذهب الرسول إلى الأمير وجده ساجداً يبكي يدع الله تعالى وقد بلل لحيته بالدموع وهو يقول: يا رب ها أنا عبدك منطرح بين يديك فلا تؤاخذ العباد كلهم بسبب جرمي أنا.

فرجع الرسول إلى الشيخ المنذر بن سعيد وقال: وجدت الأمير يفعل كذا وكذا، فقام الشيخ لتوه وقال يا غلام احمل الممطرة إذا خشع جبار الأرض رحم جبار السماء...

قال الله تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (41) ﴾ [الروم]

هذا قانون، هذه سنة من سنن الله تعالى أن يحبس الله تعالى خير ما عنده بسوء أعمال الناس لعلهم يرجعون.

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (96) ﴾ [الأعراف]

هذه مقدمة حول السنن والقوانين وهذه القوانين سنعرضها الواحدة تلو الأخرى من على هذا المنبر إن شاء الله تعالى.

الآن ما فائدة هذه الخطب السنن الإلهية في القرآن الكريم!!؟

ما الهدف المرجو من هذه السلسة!!؟ ماذا نريد من بعضنا بعد أن ننهي هذه السلسلة من الخطب!!!؟ لماذا هذه السلسلة!!؟ أهداف هذه السلسلة أربعة، أعددت هذه السلسلة لأمور أربعة.

فوائد هذه السلسلة أربعة:

الفائدة الأولى: إن معرفة المسلم بالسنن الإلهية فيها امتثال لله تعالى بتدبر القرآن وبتدبر الواقع.

قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ . . ﴾ [محمد]

وقال الله تعالى: ﴿ . . فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ(2) ﴾ [الحشر]

وعـدد لا بأس بـه من المسـلمين يقـرأ القـرآن الكـريم للبركـة، وبعضـهم يقـرؤه لإنهاء الختمـات فحسب، وبعضنا يقرؤه في مناسبات الزفاف والوفاة فقط، وبعض المسلمين لا يقرؤون القرآن أصلاً!!! بينما يقول عالم إنكليزي اسمه يوك يقول:

"القرآن دستور كامل فيه قوانين أخلاقية ومدنية وعسكرية واجتماعية، وهو دستور يضبط سلوك المسلمين الذين يجب أن تكون أفعالهم بمقتضى تعاليم القرآن الكريم".

ففي اسـتخراج السـنن الإلهيـة من القـرآن الكـريم تـدبر لهذا القـرآن، ويا ليت الإخـوة الـذين يسـمعون هـذه الخطبة يبـدؤون الآن قـراءة جديـدة للقـرآن يبحثـون عن هـذه السـنن داخـل القـرآن الكريم فيفرزونها على أوراق خاصة لهم ليتماشوا مع هذه السنن ويعملوا بما فيها.

الفائدة الأولى لهذه السلسلة هي امتثال لأمر الله بتدبر القرآن.

الفائدة الثانية: معرفة المسلم بالسنن الإلهية فيها تعظيم لله تعالى.

إذ يعلم المؤمن حـق العلم عنـدما يسـتخرج هـذه القـوانين ويفهمهـا أن لا مكـان في هـذه الحيـاة للصدفة العمياء أو للفوضى والارتجال.

فغلبة أهل الباطل اليوم بقانون يرتب نتيجة على سبب...

وما حل بديار المسلمين اليوم وفق قانون إلهي رتب نتيجة على سبب...

ونجاح شركات مالية كبيرة جرى ضمن قانون رتب نتيجة على سبب...

وفشل مشروع تجاري بقانون رتب نتيجة على سبب...

وسعادتك مع أهل بيتك في حياتك الزوجية بقانون....

وعدم تفاهمك مع أهل بيتك في حياتك الزوجية بقانون....

وهكذا ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (49) ﴾ [القمر]

فإن في معرفة السنن الإلهية تعظيم لله تعالى..

الفائدة الثالثة وقبل الأخيرة:

معرفة السنن الإلهية تجعل المؤمن يجاري هذه السنن ويستفيد منها.

فإن موافقة السنن الإلهية سبب للنجاح والفلاح، وإن إهمال هذه القوانين أو الجهل بها سبب للدمار والبوار.

رابعا وأخيراً :

معرفة المسلم بالسنن الإلهية تمنح المؤمن قدرة على تفسير الأحداث تفسيراً شرعياً سليماً.

فمن يملك المعرفة بالسنن الإلهية يملك تفسيراً صحيحاً للتاريخ وتفسيراً صحيحاً للواقع ويعرف بإذن الله بشائر المستقبل...

قال الحسن البصري: الزموا كتاب الله وتتبعوا ما فيه من الأمثال وكونوا فيه من أهل البصر، رحم الله عبداً عرض نفسه وعمله على كتاب الله...فإن وافق كتاب الله حمده الله وسأله الزيادة، وإن خالف كتاب الله عز وجل عاتب نفسه ورجع من قريب...

والحمد لله رب العالمين